مفهوم "اللسانيات" في النظرية الخليلية الحديثة

سديرة زليخة
جامعة العربي التبسي - تبسة / الجزائر
zoulikha.sedira@univ-tebessa.dz

تاريخ التسلم: 2019/05/06 تاريخ القبول: 2020/01/30

الملخص:

إنّ المصطلحات الخاصة "بالنّظريّة الخليليّة الحديثة" هي ذاتها المصطلحات الواردة في كتب النحاة الأولين بمفاهيمها التي قصدها الخليل وسيبويه، إذ سعى عبد الرحمن الحاج صالح في محاولته هذه إلى بناء ذلك بمقارنته بين ما جاء في النصوص الموروثة عنهما، وما ورد عند من جاء بعدهم كلّ بحسب عصره، ولم يقترح أي مصطلح في هذا الإطار إلا بالفرنسية أو الإنجليزية عند عدم وجود المفهوم العربي، كما تصوره العرب، في اللّسانيّات الحديثة.

أما الفرق بين هذا المنحى وما نجده عند المحدثين في هذا الميدان فهو كبير جدا فأكثرهم يتخذون المفهوم اللساني الغربي أصلاً ومرجعاً بالنسبة لغيره مما ينتمي إلى التراث العربي سيما تراث القدامى المبدعين. فإذا رأوا فيه شيئا من الشبه بينهما صحّحوه وإلا فهو خطأ عندهم أو مجرّد توهم.

الكلمات المفاتيح : المفهوم - اللسانيات - النظرية الخليلية الحديثة.

The notion of" lisaniyyat" in the contemporaneous neo-khalilian theory

Abstract:

The terminology of the neo- Khalilian Theory uses the same terms cited in the works of the first grammarians as conceived by Sibawayh and Alkhalile. Abderrahman. Hadj-Salah tried to establish his own approach to the texts received from this time and their successors by considering the differences, thus, he does not propose, in this sense, any French or English term for the notions unknown to the Arabs as have designed the contemporaneous Arabs.

What distinguishes this approach from those adopted by the modernists is that they adopt western linguistic concepts as a foundation or model to follow even for the pioneers of Arabic linguistics.

Keywords: Notion - lisaniyyat - neo-khalilian theory.

مقدمة:

النظرية اللسانية ((البنوية (سوسير)، التوليدية التحويلية (تشومسكي)، الخليليّة الحديثة (عبد الرحمن الحاج صالح)) هي إطار لتحليل اللّغة يعني شبكة مفاهيمية تسمح بفهم طريقة تحليل اللّغة. والتحليل المفاهيمي في النّظريّة الخليليّة الحديثة يبحث أولا عن المفهوم لا لفظ المصطلح؛ فالمتخصّص في المصطلح يهتم بالصيغة والمضمون في إطار علم المصطلحات، أما علم اللسان فيهتم أساسا بالجانب اللفظي (البنية)؛ وعليه؛ يتعين التحفظ من الخلط بين دراسة المصطلح ودراسة المفهوم العلمي في حدّ ذاته إذ المفهوم هو أكثر من مجرد مصطلح لأنّه أساس من أسُس النظرية. وفي هذا المقال يتعلق الأمر بمفهوم "اللّسانيَّات" حسب "النظريّة الخليليّة الحديثة".

1. اللّسانيات نظيرا لـ (Linguistique /Linguistics):

وضع عبد الرحمن الحاج صالح لفظ **اللّسانيَّات** مقابلا لـ **linguistics** بالإنجليزية، و**linguistique** بالفرنسية (Hadj-Salah, 1979, p. 34)، قائلا: «إن هذا اللفظ مركب من الكلمة اللاتينية lingua واللاحقة ique- ics ⇦ ecus- ica وتدل هذه اللاحقة على النسبة. فالتقدير هو ههنا: linguistics science» (الحاج صالح، 2007، صفحة 21)؛ إذْ بتطبيق عمليتي التفكيك والتركيب للفظ(linguistique) و(linguistics) نحصل على معادلة، كما يلي:

linguistics = [linguist] + [ics] linguistique = [linguist] + [ique]

- الجذر [linguist]: أصله لاتيني إنه من كلمة [lingua] ومعناها (= اللسان /اللغة).

- اللاحقة [ique-ics]: مقابلها في العربية **"يَات"** الدالة على **العلم** (سالمي، 2007، صفحة 196)

لذلك يرى الحاج صالح أن أنسب صياغة هي: "**اللّسانيَّات**"، ومرادفها "**علم اللسان**" قياسا على الرياضيَّات «أن نقول (اللّسانيَّات) مثلا كما نقول الرياضيَّات أو البصريَّات...» (الحاج صالح، 2007، صفحة 38). ويستدل على ذلك بـ:

أ- استجازة الباحثين العرب القدامى في الفلسفة والعلوم زيادة ياء النسبة مع صيغة الجمع بالألف والتاء للدلالة على الصناعات والعلوم، ومن أقدم هذه الألفاظ هي لفظة الرياضيّات والطبيعيّات أو على إضافة كلمة "علم" إلى ميدان علمي "علم الفلك" و"علم الحساب" و"علم المثلثات" وغيرها. وعلى هذا استعملت الكثير من الأوساط العلمية الآن هذه المصطلحات.

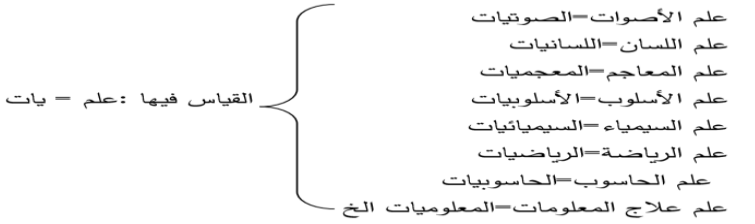

"فلا يُقال: علم الصوتيَّات أو علم اللسانيَّات لأنّه حشو" (الحاج صالح، 2010، الصفحات 17-18)؛ أي: يقال "علم اللسان" أو "اللسانيَّات"، "علم الصوت" أو "الصوتيَّات"...؛ لأنّ (يَات) هي التي تدل على العلم. وهذا يخص "الصنف الثاني وهي العلوم التي تنتهي الألفاظ الدالة عليها بـ (-tique) أو(-tics)،

ونقترح لها مقابلات بالعربية تنتهي بـ (-يَّات) مثل: لسانيَّات وتعليميَّات وتداوليَّات" (سالمي، 2007، صفحة 196).

ب- يقال في النسبة "لسانيّ" لا "لسانيَّاتيّ" (مرتاض، 2005، صفحة 36)*؛ لأنّها على غير القياس، قال سيبويه في (باب الإضافة إلى كلّ اسم لحقته التاء للجمع): "وذلك مُسْلماتٌ وتَمَرَاتٌ ونحوهما. فإذا سمّيت شيئًا بهذا النحو ثم أضفت إليه قلت: مُسْلميٌّ وتَمَريٌّ، وتحذف كما حذفت الهاء، وصارت كالهاء في الإضافة" (سيبويه، صفحة 373). ففي النسبة تحذف (ات)علامة الجمع المؤنث السالم وتزاد ياءا النسبة(يّ) فهي بمنزلة الهاء في النسبة. قال السيرافي(نقلا عن كتاب سيبويه): " وإذا كان في الاسم هاء التأنيث وجب حذفها كقولنا في النسبة إلى البصرة بصريٌّ، وإلى مكة مكيٌّ. وذلك لازم لا يجوز غيره" (سيبويه، صفحة 69). ومثل ذلك قول سيبويه: "ولو سمّيت رجلاً ضربات لقلت: ضَرَبِيٌّ، لا تغيّر المتحرّكة لأنّك لا تريد أنْ توقع الإضافة على الواحد" (سيبويه، صفحة 379)، وفسّر السيرافي هذا بقوله: "يريد أنّ الرجل الذي اسمه ضربات لا يرد إلى الواحد، لأنّه=جمع سمى به واحد، فلا يراعى به واحد ذلك الجمع بل يضاف إلى لفظه، وإذا أضفنا إلى لفظه حذفنا الألف والتاء، والراء مفتوحة، فنسبنا إليه " (سيبويه، الصفحات 379-380).

بناء على هذا التدقيق الإبستيمولوجي، اقترح عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح اللّسانيَّات أو علم اللسان بدلاً من(فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام الحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات، علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللّسانة، علم اللغويّات الحديث، اللغويّات الجديدة، اللغويّات، الألسنيّة، الألسنيّات، اللسنيّات...) (المسدي، 1984، صفحة 72). فضلا عن إجماع المختصين على استعماله مفهوما موحدا، يقول عبد السلام المسدي: "نظم مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية في ديسمبر 1978، أول ندوة عربية في هذا الاختصاص فحضر إليها علماء اللّسانيات من المغرب وتونس وليبيا ومصر والعراق والكويت وسوريا، وكان أول مكتسبات النّدوة أن اتفق الجميع على تكريس لفظ (اللّسانيات) اسما لهذا العلم" (المسدي، 1984، صفحة 71). ليصير في راهن البحث اللساني العربي الأكثر تداولاً ورواجًا*؛ أي في "القراءة العلمية الجديدة لتراث اللّسانيات في ضوء منجزات الحداثة" (ساسي، 2016، صفحة 7)

*ذكر عبد المالك مرتاض، قائلا :"فاتحت أستاذي الدكتور الحاج صالح عبد الرحمن ونحن بجامعة وهران يوم الإربعاء 10مارس 2004 في الساعة الثانية عشرة تقريبا، وأنني أنسب إلى اللّسانيّات حتى أميز النسبة إلى اللسان؛ كما أنسب إلى الرياضيات فأقول: "رياضياتي"، حتى أميز النسبة إلى الريّاضة؛ وكما تقع النسبة إلى النحو فيقال "نحويّ" فخالفني الأستاذ فيما ذهبت إليه مقررا أن اللّسانيات لديه، تعني فقه اللّغة المتمحض لدراسة لغة واحدة بعينها.ولذلك يقال في النسبة "لساني"؛ إذ كان علم اللغة العام يطلق عليه في رأي الأستاذ الحاج صالح "لسانيات عامة". انظر: مقال "اشكالية المصطلح في اللّسانيات والسيميائيات-بحث في المفاهيم ومساءلة عن علل الاضطراب".

*مجلة اللّسانيَّات الصادرة بالجزائر العدد الأول1971 وهي تصدر إلى اليوم عن مركز البحث العلمي والتقنيّ لتطوير اللّغة العربيّة.

1.1. لفظ (لسان) بدل (لغة) تأدية لمفهوم (Linguistique/Linguistics):

اتقاء للالتباس اختار الحاج صالح لفظ (لسان) بدل (لغة)، بدليل قوله: «إننا نميل إلى استعمال كلمة (لسان) ونفضلها على كلمة (لغة) ولهذا الميل مبرر، فقد ترجم بعض المؤلفين العرب لفظ الـ (linguistics) بـ (علم اللغة)، وكنا لا نرى في ذلك بأسا لو أن كلمة (اللغة) كانت تدل دائما على مفهوم اللسان، أي على ما حدده ابن جني بأنه [**أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**] (ابن جني، 2008، صفحة 87)، ولكن الأمر ليس هكذا، لأنّه وإن دلت كلمة (لغة) على هذا المعنى العام عند ابن جني مثلا فقد تدل أيضا على معان أخرى مشتركة مشهورة، وربما غلبت هذه المعاني الفرعية على المفهوم العام» (الحاج صالح، 2007، صفحة 36). وعلى هذا يكون مفهوم (اللسان) ثابتاً وهو الذي قصده ابن جني، وأما مفهوم (اللغة) فمتغير وذلك على النحو التالي:

1.1.1 - اللّغة=النحو؛ مقابلة الشيء لقسيمه (الحاج صالح، 2007، صفحة 36)، إذ يقول: «لاحظنا استعمال هذا اللفظ للدلالة على المادة المستقراة التي تلقاها الناس من أفواه «اللغويين»، أعني: الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وأباعبيدة، وأبا عمرو الشيباني وغيرهم ممن كان يعتني بجمع «اللغة» أي موضوعات اللسان، فنُسبوا إلى «اللغة» كما نُسب عبد الله بن أبي اسحق وغيره إلى «**النحو**» (أي الوجه أو الكيفية التي كان يجب أن ينحوها غير الفصيح ليلتحق بالفصيح)» (الحاج صالح، 2007، صفحة 82)

فهذا المفهوم للغة يدل على **المادة المستقراة**؛ أي: (مجموعة الألفاظ الموضوعة التي تتكون منها حصيلة ما تحراه «اللغويون») (الحاج صالح، 2007، صفحة 82)، فإذا تعداه الأمر إلى التصرف في هذه المادة تصبح اللغة قسيما للنحو، وهو ما أثبته الحاج صالح: «وقابلوا بها «النحو» لمقابلتهم معنى «اللغويين» لمعنى «النحويين» » (الحاج صالح، 2007، صفحة 82)؛ لذلك يقال" لغوي" مقابل" نحوي" للدلالة على من يقوم بجمع مفردات اللغة ورواية ما يحفظ كالأصمعي، وقد يصل به الأمر إلى تصنيف الرسائل اللغوية والمعجمات من هذه المفردات كأبي زيد الأنصاري، إذ يؤكد عبد اللطيف البغدادي:"أنّ اللغوي شأنه أن ينقل مانطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه" (مجاهد، 2009، صفحة 09) وبهذا أصبح مفهوم اللغة قسيما للنحو.

2.1.1- اللّغة=العربية (=علم اللسان العربي)؛ مقابلة الخاص للعام (الحاج صالح، 2007، صفحة 36)، وهو الذي ورد عند ابن يعيش: «المراد بالعربية: اللغة، وإن كانت العربية أعمّ من اللغة، لأنّ اللغة تقع على كل مفرد من كلام العرب، والعربية تقع على المفرد والمركب». يلاحظ أنّ مفهوم العربية أعمّ من اللّغة. قال الرضي: «إنّ الواضع إما أن يضع ألفاظا معينة سماعية، وتلك التي يحتاج فيها إلى علم اللغة، وإما أن يضع قانونا كليا يعرف به الألفاظ، فهي قياسية، وذلك القانون إما أن يعرف به المفردات... وتحتاج في معرفتها إلى علم التصريف، وإما أن يعرف به المركبات القياسية... ويحتاج في معرفة بعضها إلى التصريف.... وفي معرفة بعضها إلى غيره من علم النحو» (الاسترابادي، 1966، صفحة 08).

وقد سمّى المتأخرون (علم اللغة) بهذا المعنى (علم متن اللغة) تمييزاً له عن علم العربية الذي هو أعمّ منه. قال ابن يعقوب المغربي(شرح التلخيص):"علم متن اللغة أي معرفة أوضاع المفردات اللغوية" (الحاج صالح، 2007، صفحة 36). ولهذا فإنّ "متن اللغة أي مفرداتها يقابلها نحوها، أي قوالبها وقوانين نظامها البنوي الذي يحدد كيفية تركيب مفرداتها وتركيباتها أو بناها". (الإبراهيمي، 2006، صفحة 150)

3.1.1- اللّغة=الاصطلاح، مثل: (الصلاة لغة هي الدعاء، وفي الاصطلاح...)؛ فيكون المفهوم الناتج للغة هنا هو المفردات المتداولة عند جميع الناطقين أي اللغة غير الفنية (الحاج صالح، 2007، صفحة 37)

4.1.1- اللّغة=اللّهجة، استعمل سيبويه كلمة لغة في معنى اللهجة في مواضع متعددة من كتابه: «وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز [كسر حرف المضارع مثل تِعلم]» (سيبويه، صفحة 110)، «هذا باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز، ثم يصير إلى أصله» (سيبويه، صفحة 57).

نستنتج أن سيبويه يقصد بلفظ (اللّغة): كيفية مخصوصة في استعمال العرب أو جماعة منهم لعنصر خاص من عناصر العربية(النطق بصوت معين أو استعمال لصيغة كلمة معينة أو لتركيب معيّن. ولا يطلقها على لهجة بأكملها أي على لسان خاص بقبيلة أو بإقليم، بل على الأداء اللهجي (الخاص) (الحاج صالح، 2007، صفحة 154). لوحدة لغوية معينة سواء على المستوى الصوتي أو الصرفي أو التركيبي.

نلاحظ من هذا التقابل أن لفظ (لسان) يحمل دلالة ثابتة متميزة؛ وهي المقصودة في تسميته "بعلم اللسان" (الحاج صالح، 2007، صفحة 38)، وأما كلمة (لغة) فدلالتها متغيرة، لذلك يرى عبد الرحمن الحاج صالح: «أن تخصص كلمة (لغة) إذا أضيفت إلى العلم للدلالة على دراسة أوضاع المفردات. أما إذا أفردت عن العلم فلا بأس باستعمالها مع كلمة لسان للدلالة على المفهوم العام.

أما إذا نسبنا شيئا إلى اللغة الدالة على مجموعة المفردات اللغوية فالأحسن أن نقول مثلا: الظواهر الإفرادية أي الخاصة بالمفرادات lexicologique. وتقابلها الظواهر التركيبية أي الخاصة بالتراكيب، وهي الظواهر النحوية (النحو بمعناه الخاص أي علم الأبنية التركيبية (structures syntaxiques). أما الكيفيات الأدائية المحلية أو القبلية فيمكن أن تسمى بالأداء اللهجي أو التنوع اللهجي (les citations variante dialectale). وتستعمل كلمة لغة أيضا بهذا المعنى لكن بشرط أن توجد هناك قرينة يرتفع بها اللبس» (الحاج صالح، 2007، صفحة 38). إضافة إلى هذا الالتباس، فإن الذي يرشح برأيه مصطلح لسان بدل لغة، ما يلي:

5.1.1- مفهوم اللسان هو الأصل واللغة فرع عليه؛ لأنّ الأصل في الدلالة على مفهوم اللغة هو ما استعمله القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وغير ذلك من العلوم الإسلامية، أو ما ثبت الاحتجاج به، إذ يؤكد عبد الرحمن الحاج صالح أنّه: «لا يوجد فيها إلا لفظ "اللسان" وكلما استعملت كلمة "لغة" فيها فهو للدلالة على الكيفية الخاصة التي يمتاز بها قوم عن قوم-عربا كانوا أم عجما- في تأدية لفظ

معين إما في النطق به أو صياغته أو تركيبه (وهذا نراه واضحا في كتاب العين وكتاب سيبويه ودفاتر العلماء المستقرئين للغات العرب)، وكذلك كتب الإمام الشافعي (ولا ننسى أنه كان حجة عند النحاة وهؤلاء المتحرين)....» (الحاج صالح، 2007، صفحة 82).

يظهر أنّ اللسان ليس هو اللغة؛ لأنّ المقصود الأساس باللسان العربي هنا هو«البنية التركيبية للعربية، فهذه هي الخاصية المميزة التي تتباين بها الألسن واللغات بعضها عن بعض» (ساسي، 2001، صفحة 21)، فالبنى التركيبية ثابتة، إذ أن أدنى تغير أو تبديل فيها يعرض اللسان للتلف والفساد (ساسي، 2001، صفحة 21). على هذا نقول اللسان العربي (=اللغة الأم=العربية)، واللغة الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية...

6.1.1- علم اللسان(اللسانيّات) هو التقابل الذي وضعه العرب القدماء للدلالة على مفهوم الدراسة العلمية لظاهرة اللسان بصفة عامة، بدليل وروده في إحصاء العلوم للفارابي*، يقول:"علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه شيء منها، والثاني علم قوانين تلك الألفاظ" (الفارابي، 1996، صفحة 18). إنّ لفظ "علم اللسان" أصيل يدل على الدراسة الخاصة باللسان ليس غير.

7.1.1- **علم اللسان** يقابل**scientia lingue** باللاتينية، إذ يؤكد عبد الرحمن الحاج صالح: «أن هذه التسمية بهذا المفهوم الذي وجده الأوربيون في كتاب الفارابي لم يسبق مجيئها فيما قبل ذلك التاريخ في نص يوناني أو لاتيني أو أي نص آخر، وبما أنّ هذه الموضوعات العامة التي ذكرها الفارابي كأقسام هامة لعلم اللسان هي التي سيعالجها الـ linguistics في عصرنا الحاضر، فلا نظن أنه يوجد لفظ أصلح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الـ linguistics أنفسهم» (الحاج صالح، 2007، صفحة 87).

يُظهر هذا الرأي أصالة لفظ (علم اللسان)؛ بدليل عدم وروده في أي نص يوناني أو لاتيني، إضافة إلى أن المفهوم الذي تصوره العرب لعلم اللسان(علم يتناول العام والخاص من الأحداث اللغوية، أي ما يشترك فيه جميع اللغات، وما تختص به وما ينقسم إليه من أقسام غير معروفة بهذه الدقة، هو أول مفهوم كان يمكن أن تنطلق منه الـ linguistics فيما بعد) (الحاج صالح، 2007، صفحة 88). كون هذا التصور لعلم اللسان هو مصدر كل ما يوجد الآن في علم اللسان الحديث يبرر اختيار عبد الرحمن الحاج صالح للفظ اللّسانيات.

8.1.1- **علم اللّغة** استعمله العلماء القدامى للدلالة على ما يقابل علم النحو وعلم الصرف وعلم البلاغة وعلم العروض من علوم العربية أو علوم اللسان، وعلم اللغة يتطرق الى "الموضوعات اللغوية" أي ما يخص المفردات وما بمنزلتها كالعبارات الجامدة وعمل "اللغويين" (بهذا المعنى) هو الجمع للغة وتدوينها واثبات اللغات الإقليمية منها وعزوها إلى الناطقين بها وغير ذلك. فهو يقابل علم

* استعمل لفظ علم اللسان بنفس المدلول ابن سيدة في المخصص وابن خلدون في المقدمة.

متن اللغة (الحاج صالح، 2010، صفحة 19). وبالتالي فمفهوم علم اللغة قديمًا يدل على علم المفردات.

9.1.1- مفهوم **فقه اللغة** مختلف تماما عن مفهوم علم اللسان الحديث؛ فهو:«دراسة تتعرض للمفردات بصفة خاصة من حيث تنوع معانيها، إما بتنوع تصورات الأشخاص بصفة عامة، وإما بتنوع استعمالها اللهجي أو الاصطلاحي وحتى البلاغي أحيانا» (الحاج صالح، 2007، صفحة 88)؛ أي أن موضوعه هو: «البحث عن الفوارق اللغوية الناتجة عن التعارض بين الوضع والاستعمال وما يترتب على ذلك من التفريع الدلالي وتشعبات المعاني (الحاج صالح، 2007، صفحة 88).

لذلك يفرق عبد الرحمن الحاج صالح بين مدلول فقه اللغة ومدلول علم اللسان بمفهومه الحديث؛ لأن الأول مجاله الفوارق اللغوية المتعلقة بالوضع والاستعمال (الوضع اللغوي الأول للمفردات وما يتفرع عليه من استعمالات مختلفة: الجماعية والإقليمية، أو الفردية النادرة)، ولذا ففقه اللغة امتداد وفرع لعلم اللغة(علم متن اللغة) الذي يدرس "الموضوعات اللغوية" (الحاج صالح، 2007، صفحة 88)، وأما الثاني فمجاله اللسان كله(أي بنية اللسان). بناءعلى هذا التحليل فإن لفظ اللّسانيات(علم اللسان) نظيرا لـ(Linguistique/Linguistics) وضع اصطلاحي وعلمي دقيق.

2. المجال المفهومي للّسانيات(علم اللسان):

مفهوم "علم اللسان" عند الحاج صالح يتضمن عنصرين هما: العلم أو الدراسة الموصوفة به، واللسان الذي هو موضوعها (الحاج صالح، 2007، صفحة 22)

1.2- العلم: إنَّ معيار العلم في المنطق الأرسطي هو معيار الكلي• (العلم إنما هو علم الكلي)؛ أي الوصول إلى مفهوم تندرج تحته الأشياء التي هي من جنس واحد (عموم الجنس)؛ لأن الكلي عنده مجرد رسوب لصور محسوسة تتجمع في الذهن الواحدة تلو الأخرى بدون قصد (دور العقل منفعل فقط)، وهذا لا يطابق من هذا الجانب العام(général) عند العلماء العرب؛ لأنه يقابل الأحداث والوقائع التي تتحد عند وقوعها ومجاريها في حكم من الأحكام. وأحسن كلمة يمكن أن تنطبق عليها هي كلمة الاطراد العربية فالنتيجة هي الوصول إلى علاقة عامة بين شيئين (دور العقل فاعل). (الحاج صالح، 2010، الصفحات 235-236).

هناك تناقض بين الاستقراء الأرسطي والاستقراء العربي؛ فالأول هو عموم الجنس وهو ناتج عن نظرة تأملية لاعتقاد أصحابها بانفعال الذهن، وأما الثاني: فهو عموم المطرد وهو يخص العلاقة بين شيئين لأنه ناتج عن تصور إجرائي وبناء على هذا فالمعرفة العلمية لا تتعلق بأعيان الأشياء بل تتجاوزها إلى القدر المشترك الموجود في كل منها (الحاج صالح، 2007، صفحة 24)، ومن أهم أوصافها:

1.1.2- العموم(الاطراد): تبنى المعرفة العلمية على هذا الأساس: «سواء كانت مشاهدة أم استنباطا أم استنتاجا أم قانونا أم مبدأ... فكلما ارتفعت في درجات العموم والاطراد كانت أفيد وأعرب

• يحصل عن طريق الاستقراء (Epagoge)؛ أي تتبع الأشياء هي بعينها في الواقع للوصول إلى أمر عام، وذلك من خلال الحكم على الكلي باستقراء الجزئيات (الجزء الكل).

للحقيقة» (الحاج صالح، 2007، صفحة 24)؛ كونها مستقاة من مجموعة ملاحظات وتجارب منظمة، واستخلاص العلاقات وعلل الأشياء كشرط أساسي للوصول إلى الحقيقة والكشف عن الأسرار والابتعاد عن المزلات والمغالط.

2.1.2- الموضوعية (objectivité): ضدها الذاتية ويقصد بها: الصفة التي تكون عليها معلومات الشخص عند مطابقتها التامة للواقع الخارج (الحاج صالح، 2007، صفحة 24). فإدراك الباحث للحقائق لابد أن يكون منطقيا منسجما مع الواقع لا علاقة له بشخصيته أو ميوله أو أهوائه، إذْ أن عنصر الذاتية هو أكبر خطر يهدد دقة المعرفة وصحتها، فقد يدخل الباحث في موضوع بحثه من الأوصاف والأحكام، ما لا يوجد فيه على الحقيقة بل يرجع إلى ذاته هو، وذلك مثل الخلل الذي يكون في حواسه أو التخيلات التي يصطنعها ذهنه لأسباب مختلفة، فيكون له بذلك موقفا ذاتيا، وإن قد يصيب أحيانا لكن بكيفية غير موضوعية وبدون برهان. ولهذا فالباحث يلتزم في بحثه مقاييس علمية دقيقة تكفل له الموضوعية المطلقة، أهمها:

- لايبلغ محصول المشاهدات الموضوعية الكاملة إلا إذا تمكن كل الباحثين من تصحيحها في أي مكان وأي زمان كان (الحاج صالح، 2007، صفحة 24)، لأن نتائج البحث تساوي حقائق مؤقتة لا مطلقة، وبالتالي تقبل النقض والتفنيد، كاستبعاد أو تعديل ما يثبت خطؤه أو ما تتأكد عدم فعاليته، أو تقبل ما ثبتت صحته و تأكدت فعاليته، وذلك في كل مكان وزمان.

- اللجوء إلى اجماع الباحثين أو توارد أحكامهم في موضوع معين، وذلك بدون أن يكون هذا الاتفاق صادرا عن اتصال بعضهم ببعض (الحاج صالح، 2007، صفحة 24)؛ أي ضرورة استناد الباحث إلى الأدلة كالإجماع مثلا، وذلك قبل إصداره لأي حكم أو نتائج تم التوصل إليها.

3.1.2- التعليل(الاستدلال): يرى عبد الرحمن الحاج صالح أنّه: «لطالما زعم "الإيجابيون" أنّ التفسير هو هذا الاستنباط نفسه فإذا حصل الباحث على هذه القوانين الاستقرائية فقد بلغ في ذلك غاية العلم، وهذا تناقض بيّن؛ لأن التفسير لا ينحصر في ملاحظة الواقع و وصفه (ولو بطريقة رياضية) بل في الكشف عن الأسباب العميقة (أسرار الأحداث عند العرب)...» (الحاج صالح، 2007، صفحة 29). يُوضح هذا الرأي أنّ مستوى البحث العلمي عند الإيجابيين لا يتجاوز الظواهر المحسوسة (المشاهدة) وبالتالي نفي التعليل، وأما عند العرب فهو تفسير للواقع وتصييره إلى شيء معقول؛ فبفضل ما يجده الباحث من انسجام بين ما يفرعه من القضايا على القوانين المجردة (المصوغة بصيغة رياضية) و بين ما يفرعه من النتائج المحسوسة على مشاهداته للواقع يكون قد حول المنقول إلى معقول فبين معلّل تستسيغه بديهة العقل ويطمئن له الفكر وهذا هو التفكير العلمي المنتظم (الحاج صالح، 2007، صفحة 24). وهذا لا يلزم في المذهب المغالي (الإيجابي) الذي ينبذ التعليل، ويكتفي بالوصف، فالمعرفة العلمية تقوم على منهج إجرائي أساسه التجربة والموضوعية والاستدلال (التعليل)، غير تأملية، وهذا جوهر الاختلاف بين منطق العلم ومنطق الفلسفة...

2.2. اللسان: عالج الحاج صالح مفهوم اللسان بالاعتماد على الصفات اللازمة، للكشف عما يتميز

به دون غيره، فأنطلق من هذا الحدّ الذي أورده أندري مارتيني: «إن اللسان هو أداة تبليغ، يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة و أخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (monèmes) ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة: هي العناصر الصوتية (أو الوظيفة) (phonèmes)، ويكون عددها محصورا في كل لسان، وتختلف هي أيضا من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة» (الحاج صالح، 2007، صفحة 41). يشير هذا الطرح إلى صفتين لازمتين مشتركتين للسان هما: أداة +وضع تحليلي، وبيانهما كالآتي:

1.2.2 أداة=أداة تبليغ وفي هذه العبارة عنصرين أساسيين:

أ- الأداء: هو الوظيفة (fonction) التي تقوم بها الأداة.

ب- التبليغ أو التخاطب: هو تبادل معلومات وأغراض بكيفية خاصة. والأداء والتبليغ أو التخاطب صفتان تشترك فيهما اللغة وغيرها من الظواهر الأدائية التبليغية؛ لأنْ الأداء يقتضي وجود جهاز خاص يستعمل لتحقيق غاية معينة وهو هذا التبليغ، وأما التبليغ أو التخاطب (communication) فيقتضي شيئين:

- **نظام أدلة:** وهذا ليس خاصا باللغة وحدها، لأنّ الأنظمة الدلالية كثيرة، مثل: الإشارات العادية، والإشارات المصطلح عليها في البحرية ونظام المرور في الطرقات والرموز المستعملة في المواصلات البريدية وغير ذلك.

- **مواضعة واصطلاح:** لأن الناطقين يتواضعون على اللغة التي يستعملونها للتعبير عن أغراضهم (الحاج صالح، 2007، صفحة 42)؛ اذن كلاّ من نظام الأدلة (دوال لسانية + غير لسانية) والمواضعة والاصطلاح صفتان لازمتان للغة أيضا؛ لأنّها نظام. كما يوضحه الرسم الآتي:

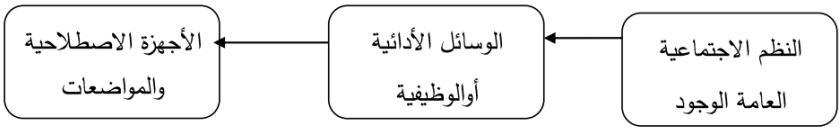

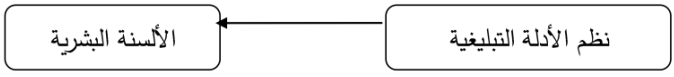

2.2.2 وضع تحليلي (التقطيع): اللّغة حسب أندري مارتيني قابلة للتقطيع على مستويين: العناصر الدالة (أو(المونيمات)، والعناصر غير الدالة (الأصوات المقطعة) أو (الفونيمات) (الحاج صالح، 2007، الصفحات 42-43)؛ فالكلام الإنساني وحده قابل لمثل ذلك التقطيع المزدوج (double articulation) الذي هو قانون أساسي من قوانين اللغة الإنسانية (دك الباب، 1919، صفحة 86).

وهو ما تؤكده خولة طالب الإبراهيمي إذ تقول: "تتقطع الألسنة البشرية (التي من خلالها ندرس اللسان البشري، الظاهرة العامة) إلى مستويين: المستوى الأول هو مستوى القطع الدالة على معنى أما

المستوى الثاني فهو مستوى القطع غير الدالة على معنى" (الإبراهيمي، 2006، صفحة 23)، يتم التقطيع إلى أصغر الوحدات:

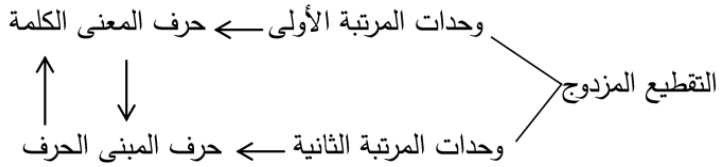

فالوحدات التي يصل إليها التحليل في المستوى الأول من التقطيع المزدوج هي: الكلم(أصغر وحدة ممّا يدل على معنى) وأما الحرف فهو المستوى الثاني للتقطيع لأنّه أصغر قطعة يصل إليها التحليل ولا تدل على معنى (الإبراهيمي، 2006، صفحة 85/74/24). التقطيع الثنائي للسان ينتج عنه عناصر دالة هي الكلم لأن الكلمة عند سيبويه وعند بعض من تابعه في ذلك (الرضي الاسترابادي) هي أقل ما ينطق به مما يدل على معنى (الحاج صالح، 2007، صفحة 44)، وعناصر غير دالة وهي الحرف.

هذان التقطيعان في رؤية الحاج صالح متداخلان متعاظلان يشكلان معا بنية اللسان ومجاريه، مشيرا إلى أن لكل لغة نظرة خاصة تختلف باختلاف المجتمعات رغم أن الهدف واحد وهو الوصول إلى التبليغ. وعليه توصل إلى: «أن أهم شيء في اللسان وأخص صفاته هو إذا الصورة الأدائية التي يختص بها هو وحده، والتي تنتج من تأليف أجزائه وتعاظلها، وهذه الصورة هي البنية اللسانية التي يتخذها اللساني كموضوع لدراسته» (الحاج صالح، 2007، صفحة 44).

يفيد هذا التحليل لمفهوم علم اللسان أنه :«تدخل في مضمون لفظة اللّسانيّات كلّ النظريات والمفاهيم والمناهج العلمية التي تتناول اللسان كظاهرة موضوعية، وتحاول تفسيرها بالاعتماد على التجربة والاستدلال العقلي سواء كان من إبداع اللسانيين الغربيين أم من مواصلة البحث اللساني الذي ابتدأه الخليل وأصحابه» (الحاج صالح، 1973-1974، صفحة 28).

ومهمة اللساني هي: الكشف عن أسرار البنية اللسانية ومجاريها سواء كان ذلك في زمان واحد من تطور اللسان أم في أزمنة كثيرة متتابعة، لأن الموضوع الرئيسي لعلم اللسان هو بنية اللسان ومجاريه (أبنيتها الإفرادية والتركيبية+ نظامها الباطني + كيفية أدائها لمهمة التبليغ)، وهذه صفات ذاتية في اللسان، أما ظواهر التطوير (التحولات الزمانية المحضة) والظواهر الفيزيولوجية (الصوتية المحضة) والظواهر النفسانية (الاجتماعية المحضة) فهي غير لسانية في ذاتها، وعليه يمثل مفهوم علم اللسان حسب رؤية الحاج صالح (الحاج صالح، 2007، ص 46) بالمخطط الآتي :

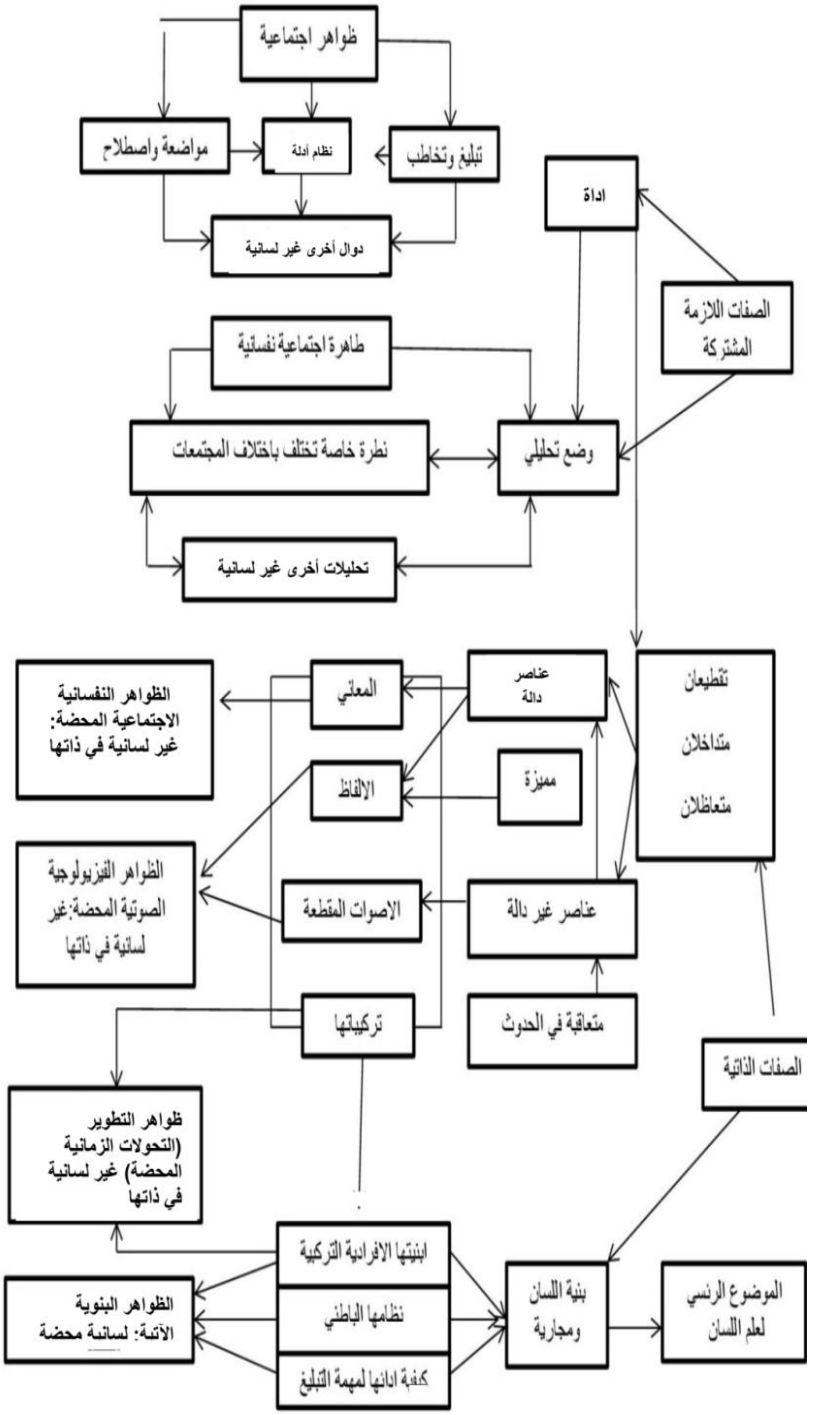
ظواهر اجتماعية
مواضعة واصطلاح
نظام اداة
تبليغ وتخاطب
دوال أخرى غير لسانية
اداة
الصفات اللازمة المشتركة
طاهرة اجتماعية نفسانية
نظرة خاصة تختلف باختلاف المجتمعات
وضع تحليلي
تحليلات أخرى غير لسانية
الظواهر النفسانية الاجتماعية المحضة: غير لسانية في ذاتها
المعاني
عناصر دالة
تقطيعان متداخلان متعاظلان
الالفاظ
مميزة
الظواهر الفيزيولوجية الصوتية المحضة:غير لسانية في ذاتها
الاصوات المقطعة
عناصر غير دالة
تركيباتها
متعاقبة في الحدوث
الصفات الذاتية
ظواهر التطوير (التحولات الزمانية المحضة) غير لسانية في ذاتها
ابنيتها الافرادية التركيبية
الظواهر البنوية الآنية: لسانية محضة
نظامها الباطني
كفاية ادائها لمهمة التبليغ
بنية اللسان ومجارية
الموضوع الرئيسي لعلم اللسان

خاتمة:

تناول هذا البحث جزئية مهمة ودقيقة في الفكر اللساني لدى عبد الرحمن الحاج صالح، ترتبط بالضبط الاصطلاحي تارة والتدقيق الإبستيمولوجي تارة أخرى. ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

1- التحفظ من التخليط بين دراسة المصطلح ودراسة المفهوم العلمي في حدّ ذاته.

2- اللّسانيَّات (على قياس الرياضيَّات) يقابل linguistique بالفرنسية وlinguistics بالإنجليزية وضع اصطلاحي وعلمي دقيق.

3- علم اللسان(أواللسانيَّات) مفهوم عربي أصيل موضوعه الرئيسي بنية اللسان ومجاريه.

4- علم اللّغة(أوعلم متن اللغة) هو علم المفردات.

5- فقه اللّغة يعنى بظواهر الوضع والاستعمال، فهو فرع من علم اللّغة.

6- اللّغة تعادل الأداء اللهجي الخاص قديما.

المصادر والمراجع

أ- العربية:

- الإبراهيمي، خولة طالب. (2006). مبادئ في اللسانيات. ط2. دار القصبة للنشر. الجزائر.

- الاسترابادي، رضي الدين. (1966). شرح الكافية. ط1. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (2008). الخصائص. ط2. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- الحاج صالح، عبد الرحمن:

(2007). بحوث ودراسات في علوم اللسان. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر.

(2007). السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر.

(2010). منطق العرب في علوم اللسان. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر.

(74-1973). "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية". مجلة اللسانيات :(4):28.

(2007). "مدخل إلى علم اللسان الحديث تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه". مجلة اللسانيات:1(1):21.

(2010). "الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة". مجلة المجمع الجزائري للغة العربية :(12):17-18.

- دك الباب، جعفر. (1919). نحو نظرية جديدة إلى فقه اللغة. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

- ساسي، عمار:

(2001). اللسان العربي وقضايا العصر. دار المعارف. البليدة. الجزائر.

(2016). مباحث في اللسانيات العربية وقضاياها الراهنة من الوصف إلى الفحص. ط1. إصدارات مخبر اللغة العربية وآدابها جامعة البليدة2. الجزائر.

- سالمي، عبد المجيد.(2007). "مصطلحات اللسانيات في اللغة العربية بين الوضع والاستعمال"، أطروحة دكتوراه. قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، الجزائر.

- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر. الكتاب.ط1. دار الجيل. بيروت. لبنان.
- الفارابي، أبو نصر. (1996). إحصاء العلوم.ط1. دار مكتبة الهلال. بيروت. لبنان.
- مجاهد، عبد الكريم. (2009). علم اللسان العربي، فقه اللغة العربية.ط1. دار أسامة للنشر. عمان. الأردن.
- مرتاض، عبد المالك. (2005). "اشكاليّة المصطلح في اللسانيّات والسيمائيّات-بحث في المفاهيم ومساءلة عن علل الاضطراب-". مجلة المجمع الجزائري للغة العربية :(1): 36.
- المسدي، عبد السلام. (1984). قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح. الدار العربية للكتاب. تونس.
- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي. (2001). شرح المفصل.ط1. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

ب- الأجنبية:

- Hadj- salah , A. (1979). "Linguistique Arabe et Linguistique Générale , essai de méthodologie et dépistémologie du ilm al-arabiyya ", These detat ,parise.